

## سورة المؤمنون

## مكية

❖ من مقاصد السورة:

بيان فلاح المؤمنين وخسران الكافرين.

❖ التفسير:

❶ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

قد فاز المؤمنون بالله العاملون بشرعه بالحصول على ما يطلبون، والنجاة مما يرهبون.

❷ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

الذين هم في صلاتهم متذللون، قد سكنت فيها جوارحهم، وفرغت قلوبهم من الشواغل.

❸ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

والذين هم عن الباطل واللهو وما فيه معصية من الأقوال والأفعال معرضون.

❹ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾

والذين هم لتطهير أنفسهم من الرذائل، وتطهير أموالهم بإخراج زكاتها فاعلون.

❺ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِزُجُجِهِمْ حَافِظُونَ﴾

والذين هم لفروجهم بإبعادها عن الزنى واللواط والفواحش حافظون، فهم أعقاء طاهرون.

❻ ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾

إلا على زوجاتهم أو ما يملكون من الإماء، فإنهم لا يلامون في الاستمتاع بهنّ بالوطء وغيره.

❼ ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾

فمن طلب الاستمتاع بما عدا الزوجات أو إماءه اللاتي يملكنّ فهو متجاوز لحدود الله بتجاوز ما أحله من التمتع

إلى ما حرمه منه.

❽ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾

والذين هم لما اتّمنهم الله عليه، أو اتّمنهم عباده، ولعهودهم حافظون لا يضيعونها، بل يوفون بها.

❾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

والذين هم على صلواتهم يحافظون بالمداومة عليها، وعلى أدائها في أوقاتها بأركانها وواجباتها ومستحباتها.

❿ ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾

أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الوارثون.

⓫ ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

الذين يرثون أعلى الجنة هم فيها ما كثون أبداً، لا ينقطع نعيمهم فيها.

❖ من قواید الآيات:

١- للفلاح أسباب متنوعة يحسن معرفتها والحرص عليها. (من آية ﴿١﴾ إلى ﴿٩﴾)

﴿ ١٢ ﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿

ولقد خلقنا أبا البشر آدم من طين، أخذت تربته من خلاصة استخرجت من ماء مختلط بتربة الأرض.

﴿ ١٣ ﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَّكِينٍ ﴿

ثم خلقنا ذريته من نطفة تستقر في الرحم إلى حين الولادة.

﴿ ١٤ ﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا

ءَاخِرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿

فخلقنا بعد ذلك النطفة المستقرة في الرحم علقة حمراء، ثم جعلنا تلك العلقة الحمراء كقطعة لحم ممضوغة، فخلقنا قطعة اللحم تلك عظاماً مُتَصَلِّبَةً، فألبسنا تلك العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر بنفخ الروح فيه، وإخراجه إلى الحياة، فتبارك الله أحسن الخالقين.

﴿ ١٥ ﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿

ثم إنكم - أيها الناس - بعد ما مرتتم به من تلك الأطوار ستموتون عند انقضاء آجالكم.

﴿ ١٦ ﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿

ثم إنكم بعد موتكم تبعثون من قبوركم يوم القيامة؛ لتحاسبوا على ما قدمتم من عمل.

﴿ ١٧ ﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿

ولقد خلقنا فوقكم - أيها الناس - سبع سماوات بعضها فوق بعض، وما كنا بغافلين عن خلقنا، ولا ناسين إياه.

﴿ ١٨ ﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿

وأزلنا من السماء ماء المطر بمقدار الحاجة، لا كثيراً فيفسد ولا قليلاً فلا يكفي، فجعلناه يستقر في الأرض ينتفع

به الناس والدواب، وإنا لقادرون على أن نذهب به فلا تنتفعون.

﴿ ١٩ ﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿

فأنشأنا لكم بذلك الماء بساتين من النخيل والأعناب، لكم فيها فواكه متعددة الأشكال والألوان، كالتين والرمان

والنفاح، ومنها تأكلون.

﴿ ٢٠ ﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلآكِلِينَ ﴿

وأنشأنا لكم به شجرة الزيتون التي تخرج في منطقة جبل سيناء، تُنبت الدهن الذي يستخرج من ثمرها يُدهن به ويُؤتدَم.

﴿ ٢١ ﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرُوا مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿

وإن لكم - أيها الناس - في الأنعام (الإبل، البقر، الغنم) لعبرة ودلالة تستدلون بها على قدرة الله ولطفه بكم،

نسقيكم مما في بطون هذه الأنعام لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، ولكم فيها منافع كثيرة تنتفعون بها منها؛ كالركوب

والصوف والوبر والشعر، وتأكلون من لحومها.

﴿ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ ﴾

١- التدرج في الخلق والشرع سنّة إلهية. (من آية ﴿ ١٢ ﴾ ﴿ ١٣ ﴾ ﴿ ١٤ ﴾)

٢- إحاطة علم الله بمخلوقاته. (من آية ﴿ ١٧ ﴾)

٣- لطف الله بعباده ظاهر لإنزال المطر وتيسير الانتفاع به. (من آية ﴿ ١٨ ﴾ ﴿ ١٩ ﴾)

٤- التنويه بمنزلة شجرة الزيتون. (من آية ﴿ ٢٠ ﴾)

﴿٢٢﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

وعلى الإبل من الأنعام في البر، وعلى السفن في البحر تُحْمَلُونَ.

﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾

ولقد بعثنا نوحًا ﷺ إلى قومه يدعوهم إلى الله، فقال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ما لكم من معبود بحق غيره سبحانه، أفلا تتقون الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه؟! ﴿٢٣﴾

﴿٢٤﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفِضَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٢٤﴾

فقال الأشراف والسادة الذين كفروا بالله من قومه لأتباعهم وعامتهم: ما هذا الذي يزعم أنه رسول إلا بشر مثلكم يريد الرئاسة والسيادة عليكم، ولو شاء الله أن يرسل إلينا رسولاً لأرسله من الملائكة، ولم يرسله من البشر، ما سمعنا بمثل ما ادعاه عند أسلافنا الذين سبقونا.

﴿٢٥﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَضُّوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾

ما هو إلا رجل به جنون، لا يعي ما يقول، فانتظروا به حتى يتضح أمره للناس.

﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٢٦﴾

قال نوح ﷺ: رب انصرنني عليهم بأن تنتقم لي منهم بسبب تكذيبهم إياي.

﴿٢٧﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

فأوحينا إليه أن اصنع السفينة بمرأى منا وتعليمنا إياك كيف تصنعها، فإذا جاء أمرنا بإهلاكهم، ونبع الماء بقوة من المكان الذي يخبز فيه، فأدخل فيها من كل الأحياء ذكراً وأنثى ليستمر النسل، وأدخل أهلك إلا من سبق عليه القول من الله بالإهلاك مثل زوجتك وابنك، ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالكفر بطلب نجاتهم وترك إهلاكهم، إنهم مهلكون - لا محالة - بالغرق في ماء الطوفان.

﴿٢٨﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾

فإذا علوت على السفينة أنت ومن معك من المؤمنين الناجين، فقل: الحمد لله الذي أنقذنا من القوم الكافرين فأهلكهم.

﴿٢٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾

وقل: رب أنزلني من الأرض إنزالاً مباركاً، وأنت خير المنزّلين.

﴿٣٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

إن في ذلك المذكور من إنجاء نوح والمؤمنين معه، وإهلاك الكافرين؛ لدلالات جلية على قدرتنا على نصر رسلنا وإهلاك المكذابين بهم، وإن كنا لمختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ليتضح المؤمن من الكافر والمطيع من العاصي.

﴿٣١﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ﴿٣١﴾

١- اعتقاد المشركين الوهية الحجر، وتكذيبهم بنبوة البشر، دليل على سخف عقولهم. (من آية ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾)

٢- نصر الله لرسوله ثابت عندما تكذبهم أممهم. (من آية ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾)

٣- وجوب حمد الله على النعم. (من آية ﴿٢٨﴾)

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (٢١)

ثم أنشأنا من بعد إهلاك قوم نوح أمة أخرى.

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٢٢)

فبعثنا فيهم رسولاً منهم يدعوهم إلى الله، فقال لهم: اعبدوا الله وحده ما لكم من معبود بحق غيره سبحانه، أفلا تتقون الله باجتناب نواهيه، وامتنال أوامره؟!

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (٢٣)

وقال الأشراف والسادة من قومه الذين كفروا بالله، وكذبوا بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، وأطغاهم ما وسعنا لهم من النعم في الحياة الدنيا، قالوا لأتباعهم وعامتهم: ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه، ويشرب مما تشربون منه، فليس له مزية عليكم حتى يُبعث رسولاً إليكم.

﴿وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ (٢٤)

ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذن لخاسرون لعدم انتفاعكم بطاعته لترككم آلهتكم، واتباع من لا فضيلة له عليكم.

﴿أَيَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ﴾ (٢٥)

أيعدكم هذا الذي يزعم أنه رسول أنكم إذا متم وصرتم تراباً وعظاماً بالية أنكم تخرجون من قبوركم أحياء؟! أيعقل هذا؟!

﴿هِيَآتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ (٢٦)

بعيد جداً ما توعدون به من إخراجكم من قبوركم أحياء بعد موتكم، ومصيركم تراباً وعظاماً بالية.

﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٢٧)

ليست الحياة إلا الحياة الدنيا، لا الحياة الآخرة، تموت الأحياء منا ولا تحيا، ويولد آخرون فيحيون، ولسنا بمُخرجين بعد موتنا للحساب يوم القيامة.

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٨)

ما هذا الذي يدعي أنه رسول إليكم إلا رجل اختلق على الله كذباً بادعائه هذا، ولسنا له بمؤمنين.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ (٢٩)

قال الرسول: رب انصُرني عليهم بأن تنتقم لي منهم بسبب تكذيبهم إياي.

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ﴾ (٣٠)

فأجاب الله قائلاً: بعد زمن قليل سيصبح هؤلاء المكذبون بما جئت به نادمين على ما وقع منهم من التكذيب.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٣١)

فأخذهم صوت شديد مهلك باستحقاقهم العذاب لتعتتهم، فصيرتهم هلكى مثل غشاء السيل، فهلاكاً للقوم الظالمين.

﴿مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ﴾ (٣٢)

١- الترف في الدنيا من أسباب الغفلة أو الاستكبار عن الحق. (من آية ٣٣)

٢- عاقبة الكافر الندامة والخسران. (من آية ٤١)

٣- الظلم سبب في البعد عن رحمة الله. (من آية ٤١)

﴿ ٤٣ ﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿ ٤٤ ﴾

ثم بعد إهلاكهم أنشأنا أقوامًا وأممًا آخرين مثل قوم لوط، وقوم شعيب، وقوم يونس.

﴿ ٤٤ ﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿ ٤٥ ﴾

لا تتقدم أي أمة من هذه الأمم المكذبة الوقت المحدد لمجيء هلاكها، ولا تتأخر عنه، مهما كان لها من الوسائل.

﴿ ٤٥ ﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرًا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ ٤٦ ﴾

ثم بعثنا رسلنا متتابعين رسولاً رسولاً، كلما جاء أمة من تلك الأمم رسولها المبعوث إليها كذبوه، فأتبعنا بعضهم ببعض بالهلاك، فلم يبق لهم وجود إلا أحاديث الناس عنهم، فهلاكاً لقوم لا يؤمنون بما جاءتهم به رسلهم من عند ربهم.

﴿ ٤٦ ﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿ ٤٧ ﴾

ثم بعثنا موسى وأخاه هارون بآياتنا التسع: (العصا، اليد، الجراد، القمل، الضفادع، الدم، الطوفان، السنون، نقص الثمرات)، وبحجة واضحة.

﴿ ٤٧ ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿ ٤٨ ﴾

بعثناهما إلى فرعون والأشراف من قومه فاستكبروا، فلم ينقادوا للإيمان لهما، وكانوا قوماً مُستعجلين على الناس بالقهر والظلم.

﴿ ٤٨ ﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿ ٤٩ ﴾

فقالوا: أنؤمن لبشرين مثلنا، لا مزية لهما علينا، وقومهما (بنو إسرائيل) لنا مطيعون خاضعون؟!!

﴿ ٤٩ ﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿ ٥٠ ﴾

فكذبوهما فيما جاء به من عند الله، فكانوا بسبب تكذيبهم من المهلكين بالغرق.

﴿ ٥٠ ﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿ ٥١ ﴾

ولقد أعطينا موسى التوراة رجاء أن يهتدي بها قومه إلى الحق، ويعملوا بها.

﴿ ٥١ ﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿ ٥٢ ﴾

وصيرنا عيسى بن مريم وأمه مريم علامة دالة على قدرتنا، فقد حملت به من غير أب، وآويناها إلى مكان مرتفع من الأرض، مستوٍ صالح للاستقرار عليه، فيه ماء جار متجدد.

﴿ ٥٢ ﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿ ٥٣ ﴾

يا أيها الرسل، كلوا مما أحللت لكم مما يُستطاب أكله، واعمَلوا عملاً صالحاً موافقاً للشرع، إني بما تعملون من عمل عليم، لا يخفى عليّ من أعمالكم شيء.

﴿ ٥٣ ﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿ ٥٤ ﴾

وإن ملّتكم - أيها الرسل - ملة واحدة وهي الإسلام، وأنا ربكم لا رب لكم غيري، فاتقوني بامتثال أوامري، واجتناب نواهي.

﴿ ٥٤ ﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

١- الاستكبار مانع من التوفيق للحق. (من آية ٤٦ ٤٧)

٢- إطابة المأكّل له أثر في صلاح القلب وصلاح العمل. (من آية ٥١)

٣- التوحيد ملة جميع الأنبياء ودعوتهم. (من آية ٥٢)

﴿٥٢﴾ فَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٢﴾

فتفرق أتباعهم بعدهم في الدين، فصاروا أحزابًا وشيعًا، كل حزب معجب بما يؤمن أنه هو الدين المرضي عند الله، ولا يلتفت إلى ما عند غيره.

﴿٥٤﴾ فَذَرَّهُمْ فِي غَمَرْتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾

فاتركهم - أيها الرسول - فيما هم فيه من الجهل والحيرة إلى حين نزول العذاب بهم.

﴿٥٥﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ \* نَسَائِعِهِمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾

أيظن هؤلاء الأحزاب الفرحون بما لديهم أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد في الحياة الدنيا هو تعجيل خير لهم يستحقونه؟! ليس الأمر كما ظنوا، إنما نعطيهم ذلك إملاءً واستدراجًا لهم، لكنهم لا يحسبون بذلك.

﴿٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾

إن الذين هم مع إيمانهم وإحسانهم وجلون من ربهم.

﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾

والذين هم بآيات كتابه يؤمنون.

﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

والذين هم يوحدون ربهم لا يشركون به شيئًا.

﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾

والذين يجتهدون في أعمال البر، ويتقربون إلى الله بالأعمال الصالحة وهم خائفون ألا يتقبل الله منهم إنفاقهم وأعمالهم الصالحة إذا رجعوا إليه يوم القيامة.

﴿٦١﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾

أولئك الموصوفون بهذه الصفات العظيمة يبادرون إلى الأعمال الصالحة، وهم إليها سابقون، ومن أجلها سبقوا غيرهم.

﴿٦٢﴾ وَلَا تَكُلْفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كَنْزٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

ولا نكلف نفسًا إلا قدر ما تستطيعه من العمل، وعندنا كتاب أثبتنا فيه عمل كل عامل، ينطق بالحق الذي لا مرية فيه، وهم لا يظلمون بنقص حسناتهم، ولا زيادة سيئاتهم.

﴿٦٣﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾

بل قلوب الكفار في غفلة من هذا الكتاب الذي ينطق بالحق، والكتاب الذي نزل عليهم، ولهم أعمال أخرى دون ما هم عليه من الكفر هم لها عاملون.

﴿٦٤﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

١- الإنعام على الفاجر ليس إكرامًا له، وإنما هو استدراج. (من آية ﴿٥٦﴾ ﴿٥٥﴾)

٢- خوف المؤمن من عدم قبول عمله الصالح. (من آية ﴿٦٠﴾)

٣- سقوط التكليف بما لا يُستطاع رحمة بالعباد. (من آية ﴿٦٢﴾)

﴿ ٦٤ ﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴿٦٤﴾

حتى إذا عاقبنا منعميهم في الدنيا بالعذاب يوم القيامة إذا هم يرفعون أصواتهم مستغيثين.

﴿ ٦٥ ﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مِتًّا لَّا تَنْصُرُونَ ﴿٦٥﴾

فيقال لهم تبيسًا لهم من رحمة الله: لا تصرخوا ولا تستغيثوا في هذا اليوم، فإنه لا ناصر لكم يمنعكم من عذاب الله.

﴿ ٦٦ ﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَادِي عَلَيْكُمْ فَاكْفُرُوا عَلَيَّ أَعْقِبِكُمْ نُنَكِّسُوهَا ﴿٦٦﴾

قد كانت آيات كتاب الله تُقرأ عليكم في الدنيا، فكنتم ترجعون مولين عنها إذا سمعتموها كراهية لها.

﴿ ٦٧ ﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾

تفعلون ذلك مستكبرين على الناس بما تزعمونه من أنكم أهل الحرم ولستم أهله؛ لأن أهله هم المتقون، وتتسامرون حوله بالسيئ من القول، فأنتم لا تقدسونه.

﴿ ٦٨ ﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولِينَ ﴿٦٨﴾

أفلم يتدبر هؤلاء المشركون ما أنزل الله من القرآن ليؤمنوا به، ويعملوا بما فيه، أم جاءهم ما لم يأت أسلافهم من قبلهم، فأعرضوا عنه وكذبوا به.

﴿ ٦٩ ﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾

أم إنهم لم يعرفوا محمدًا ﷺ الذي أرسله الله إليهم، فهم منكرون له، لقد عرفوه وعرفوا صدقه وأمانته.

﴿ ٧٠ ﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾

بل يقولون: هو مجنون، لقد كذبوا، بل جاءهم بالحق الذي لا مزية فيه أنه من عند الله، ومعظمهم كارهون للحق، مبغضون له حسدًا من عند أنفسهم، وتعصبًا لباطلهم.

﴿ ٧١ ﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾

ولو أجرى الله الأمور، ودبرها على وفق ما تهواه أنفسهم لفسدت السموات والأرض، وفسد من فيهن لجهلهم بعواقب الأمور، وبالصحيح والفاسد من التدبير، بل أتيناهم بما فيه عزهم وشرفهم، وهو القرآن، فهم عنه معرضون.

﴿ ٧٢ ﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رِبْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقِينَ ﴿٧٢﴾

هل طلبت - أيها الرسول - أجرًا من هؤلاء على ما جئتهم به، وذلك جعلهم يرفضون الدعوة؟ هذا لم يحدث منك، فتواب ربك وأجره خير من ثواب هؤلاء وغيرهم، وهو - سبحانه - خير الرازقين.

﴿ ٧٣ ﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾

وإنك - أيها الرسول - لتدعو هؤلاء وغيرهم إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه، وهو طريق الإسلام.

﴿ ٧٤ ﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ ﴿٧٤﴾

وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من حساب وعقاب وثواب عن طريق الإسلام لمائلون إلى غيرها من الطرق المعوجة الموصلة إلى النار.

﴿ ٧٥ ﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

١- الترف مانع من موانع الاستقامة وسبب في الهلاك. (من آية ٦٤)

٢- قصور عقول البشر عن إدراك كثير من المصالح. (من آية ٧١)

﴿٧٥﴾ **﴿لَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ لَلْجَوِّ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾**

ولو رحمناهم ورفعنا عنهم ما بهم من قحط وجوع لتمادوا في ضلالهم عن الحق يترددون ويتخبطون.

﴿٧٦﴾ **﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾**

ولقد اخترناهم بأنواع المصائب، فما تَدَلَّلُوا لربهم ولا خضعوا له، وما دعوه خاشعين ليرفع عنهم المصائب عند نزولها.

﴿٧٧﴾ **﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾**

حتى إذا فتحنا عليهم بابًا من العذاب الشديد إذا هم فيه آيسون من كل فرج وخير.

ولما كان إنكار البعث لا يقع ممن ينتفع بسمعه وبصره وعقله ذكَّره الله بما أنعم عليهم به منها، فقال:

﴿٧٨﴾ **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَّةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾**

والله سبحانه هو الذي خلق لكم - أيها المكذبون بالبعث - السمع لتسمعوا به، والأبصار لتبصروا بها، والقلوب لتفقهوا بها، ومع ذلك لا تشكرونه على هذه النعم إلا قليلاً.

﴿٧٩﴾ **﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**

وهو الذي خلقكم - أيها الناس - في الأرض، وإليه وحده يوم القيامة تحشرون للحساب والجزاء.

﴿٨٠﴾ **﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾**

وهو وحده سبحانه الذي يحيي فلا محيي غيره، وهو وحده الذي يميت فلا مميت سواه، وإليه وحده تقدير اختلاف الليل والنهار ظلمة وإنارة وطولاً وقصرًا، أفلا تعقلون قدرته، وتفردده بالخلق والتدبير؟!

﴿٨١﴾ **﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾**

بل قالوا مثل ما قال آباؤهم وأسلافهم في الكفر.

﴿٨٢﴾ **﴿قَالُوا أَمْ دَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾**

قالوا على وجه الاستبعاد والإنكار: إذا متنا وصرنا ترابًا وعظامًا بالية إنا لمبعوثون أحياء للحساب؟!

﴿٨٣﴾ **﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾**

لقد وعدنا هذا الوعد - وهو البعث بعد الموت - ووعد أسلافنا من قبلُ بذلك، ولم نر ذلك الوعد تحقق، ما هذا إلا أباطيل الأقدمين وأكاذيبهم.

﴿٨٤﴾ **﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**

قل - أيها الرسول - لهؤلاء الكفار المنكرين للبعث: لمن هذه الأرض، ومن عليها إن كان لكم علم؟

﴿٨٥﴾ **﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾**

سيقولون: الأرض ومن عليها لله، فقل لهم: ألا تتذكرون أن من له الأرض ومن عليها قادر على إحيائكم بعد موتكم؟

﴿٨٦﴾ **﴿مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ﴾**

١- عدم اعتبار الكفار بالنعم أو النقم التي تقع عليهم دليل على فساد فطرهم. (من آية ﴿٧٥﴾)

٢- كفران النعم صفة من صفات الكفار. (من آية ﴿٧٨﴾)

٣- التمسك بالتقليد الأعمى يمنع من الوصول للحق. (من آية ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾)

٤- الإقرار بالربوبية ما لم يصحبه إقرار بالألوهية لا ينجي صاحبه. (من آية ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾)



﴿ ٨٦ ﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿

قل لهم: من رب السماوات السبع؟ ومن رب العرش العظيم الذي لا يوجد مخلوق أعظم منه؟

﴿ ٨٧ ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِقُونَ ﴿

سيقولون: السماوات السبع والعرش العظيم ملك لله، فقل لهم: أفلا تتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه

لتسلموا من عذابه؟

﴿ ٨٨ ﴾ قُلْ مَنْ مِنْ يَدَيْهِ مَلَائِكَةٌ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿

قل لهم: من الذي بيده ملك كل شيء، لا يشذ عن ملكه شيء، وهو **يغيث** من شاء من عباده، ولا أحد يمتنع

ممن أراده هو بسوء، فيدفع عنه العذاب، إن كان لكم علم؟

﴿ ٨٩ ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿

سيقولون: ملك كل شيء بيده سبحانه، فقل لهم: فكيف **تذهب عقولكم**، وتعبدون غيره مع إقراركم بذلك!؟

﴿ ٩٠ ﴾ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿

ليس الأمر كما يدعون، بل جئناهم بالحق الذي لا مرية فيه، وإنهم لكاذبون فيما يدعونه لله من الشريك والولد،

تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

﴿ ٩١ ﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا

يَصِفُونَ ﴿

ما اتخذ الله من ولد كما يزعم الكفار، وما كان معه من معبود بحق، ولو فرض أنه معه معبود بحق لذهب كل معبود

بنصيبه من الخلق الذي خلقه، **وَلَعَالِب** بعضهم بعضاً، فيفسد نظام الكون، والواقع أن شيئاً من ذلك لم يحدث، فدل

على أن المعبود بحق واحد وهو الله وحده، تنزه وتقدس عما يصفه به المشركون مما لا يليق به من الولد والشريك.

﴿ ٩٢ ﴾ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿

عالم كل ما غاب عن خلقه، وعالم كل ما يشاهد ويدرك بالحواس، لا يخفى عليه شيء من ذلك، فتعالى سبحانه

أن يكون له شريك.

﴿ ٩٣ ﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِي مَا يُوعَدُونَ ﴿

قل - يا أيها الرسول - : رب إما تريني في هؤلاء المشركين ما وعدتهم من العذاب.

﴿ ٩٤ ﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿

رب إن عاقبتهم وأنا أشاهد ذلك فلا تجعلني فيهم فيصيبني ما أصابهم من العذاب.

﴿ ٩٥ ﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿

وإننا على أن نجعلك تشاهد وترى ما نعدهم به من العذاب لقادرون، لا نعجز عن ذلك ولا عن غيره.

﴿ من قَوَايِدِ الْآيَاتِ ﴾

١- الاستدلال باستقرار نظام الكون على وحدانية الله. (من آية ﴿ ٩١ ﴾)

٢- إحاطة علم الله بكل شيء. (من آية ﴿ ٩٢ ﴾)

﴿٩٦﴾ **ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ** ﴿٩٦﴾

ادفع - أيها الرسول - من يسيء إليك بالخصلة التي هي أحسن؛ بأن تصفح عنه، وتصبر على أذاه، نحن أعلم بما يصفون من الشرك والتكذيب، وبما يصفونك به مما لا يليق بك كالسحر والجنون.

﴿٩٧﴾ **وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ** ﴿٩٧﴾

وقل: رب اعتصم بك من نزعَات الشياطين ووساوسهم.

﴿٩٨﴾ **وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ** ﴿٩٨﴾

وأعوذ بك رب أن يحضروني في شيء من أموري.

﴿٩٩﴾ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ** ﴿٩٩﴾

حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت، وعاین ما ينزل به قال ندمًا على ما فات من عمره، وما فرط في جنب الله: رب ارجعني إلى الحياة الدنيا.

﴿١٠٠﴾ **لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴿١٠٠﴾

لعلِّي أعمل عملاً صالحًا إذا رجعت إليها، كلا، ليس الأمر كما طلب، إنها مجرد كلمة هو قائلها، فلو رُدَّ إلى الحياة الدنيا لما وفي بما وعد به، وسيبقى هؤلاء المتوفون في **حاجز** بين الدنيا والآخرة إلى يوم البعث والنشور، فلا يرجعون منه إلى الدنيا ليستدركوا ما فاتهم، ويصلحوا ما أفسدوه.

﴿١٠١﴾ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ** ﴿١٠١﴾

فإذا نفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن النفخة الثانية المؤذنة بالقيامة، فلا أنساب بينهم يتفخرون بها لانشغالهم بأهوال الآخرة، ولا يسأل بعضهم بعضًا لانشغالهم بما يهمهم.

﴿١٠٢﴾ **فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴿١٠٢﴾

فمن ثقلت موازينه برجحان حسناته على سيئاته فأولئك هم المفلحون بما ينالونه من مطلوبهم، وما يجنبون من مرهوبهم.

﴿١٠٣﴾ **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ** ﴿١٠٣﴾

ومن خفت موازينه لرجحان سيئاته على حسناته فأولئك هم الذين ضيعوا أنفسهم بفعل ما يضرها، وترك ما ينفعها من الإيمان والعمل الصالح، فهم في نار جهنم ماكثون، لا يخرجون منها.

﴿١٠٤﴾ **تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ** ﴿١٠٤﴾

تحرق وجوههم النار، وهم فيها قد تقلصت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم من شدة العبوس.

﴿١٠٥﴾ **أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ** ﴿١٠٥﴾

ويقال لهم تفرعًا لهم: ألم تكن آيات القرآن تقرأ عليكم في الدنيا، فكنتم بها تكذبون!؟

﴿١٠٦﴾ **قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ** ﴿١٠٦﴾

قالوا: ربنا غلب علينا ما سبق في علمك من شقاوتنا، وكنا قومًا ضالين عن الحق.

﴿١٠٧﴾ **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ** ﴿١٠٧﴾

ربنا أخرجنا من النار، فإن رجعنا إلى ما كنا عليه من الكفر والضلال فإننا ظالمون لأنفسنا، قد انقطع عذرنا.

﴿١٠٨﴾ **مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:**

١- معاملة المسيء بالإحسان أدب إسلامي رفيع له تأثيره البالغ في الخصم. (من آية ﴿٩٦﴾)

٢- ضرورة الاستعاذة بالله من وساوس الشيطان وإغراءاته. (من آية ﴿٩٧﴾)

﴿ ١٠٨ ﴾ قَالَ أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿ ١٠٨ ﴾

قال الله: اسكنوا أذلاء مهانين في النار، ولا تكلموني.

﴿ ١٠٩ ﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿ ١٠٩ ﴾

إنه كان فريق من عبادي الذين آمنوا بي يقولون: ربنا آمنا بك فاغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا برحمتك، وأنت خير الراحمين.

﴿ ١١٠ ﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿ ١١٠ ﴾

فاتخذتم هؤلاء المؤمنين الداعين ربهم محلاً للاستهزاء تسخرون منهم، وتستهزئون بهم حتى أنساكم الانشغال بالسخرية منهم ذكر الله، وكنتم تضحكون منهم سخرية واستهزاء.

﴿ ١١١ ﴾ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿ ١١١ ﴾

إنني جزيت هؤلاء المؤمنين الفوز بالجنة يوم القيامة؛ لصبرهم على طاعة الله وعلى ما كانوا يتلقونه منكم من الأذى. ولما سألوا الرجوع إلى الدنيا ليصلحوا ما أفسدوا، ذكرهم بما عمروا فيها مما يمكنهم من التوبة لو أرادوا ذلك.

﴿ ١١٢ ﴾ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿ ١١٢ ﴾

قال: كم مكثتم في الأرض من السنين؟ وكم أضعتم فيها من وقت؟

﴿ ١١٣ ﴾ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿ ١١٣ ﴾

فيجيبون بقولهم: مكثنا يوماً أو جزءاً من يوم، فاسأل الذين يُعَنُونَ بحساب الأيام والشهور.

﴿ ١١٤ ﴾ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ ١١٤ ﴾

قال: ما مكثتم في الدنيا إلا زمناً قليلاً يسهل الصبر فيه على الطاعة لو أنكم كنتم تعلمون مقدار مكثكم.

﴿ ١١٥ ﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لِئِنَّا لَا تَرْجِعُونَ ﴿ ١١٥ ﴾

أفحسبتم - أيها الناس - أنما خلقناكم لعباً دون حكمة، فلا ثواب ولا عقاب مثل البهائم، وأنكم لا ترجعون

إلينا يوم القيامة للحساب والجزاء؟! ﴿ ١١٦ ﴾

﴿ ١١٦ ﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿ ١١٦ ﴾

فتنزه الله الملك المتصرف في خلقه بما يشاء، الذي هو حق، ووعدته حق، وقوله حق، لا معبود بحق غيره، رب

العرش الكريم الذي هو أعظم المخلوقات، ومن كان رباً لأعظم المخلوقات فهو ربها كلها.

﴿ ١١٧ ﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿ ١١٧ ﴾

ومن يدع مع الله معبوداً آخر لا حجة له على استحقاقه العبادة (وهذا شأن كل معبود غير الله) فإنما جزاء عمله السيئ

عند ربه سبحانه، فهو الذي يجازيه بالعذاب عليه، إنه لا يفوز الكافرون بنيل ما يطلبون، ولا بالنجاة مما يرهبون.

﴿ ١١٨ ﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿ ١١٨ ﴾

وقل - أيها الرسول - : رب اغفر لي ذنوبي، وارحمني برحمتك وأنت خير من رحم ذا ذنبٍ، فقبل توبته.

﴿ ١١٩ ﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

١- الكافر حقير مهان عند الله. (من آية ١٠٨)

٢- الثناء على الله مظهر من مظاهر الأدب في الدعاء. (من آية ١٠٩)

٣- الاستهزاء بالصالحين ذنب عظيم يستحق صاحبه العذاب. (من آية ١١٠)

٤- تضييع العمر لازم من لوازم الكفر. (من آية ١١٢، ١١٣، ١١٤)

٥- لما افتتح الله سبحانه السورة بذكر صفات فلاح المؤمنين ناسب أن تختتم السورة بذكر خسارة الكافرين وعدم

فلاحهم. (من آية ١١٧)

## سورة التور

## مدنية

❖ من مقاصد السورة: الدعوة إلى العفاف وحماية الأعراس.

❖ التفسير:

﴿سورة أنزلناها وفضلنا وأزلنا فيها آياتٍ يبينت لكم أذكاراً﴾

هذه سورة أنزلناها، وأوجبنا العمل بأحكامها، وأنزلنا فيها آيات بينات؛ رجاء أن تتذكروا ما فيها من الأحكام فتعملوا به.

﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عداهما طائفة من المؤمنين﴾

الزانية والزاني الجران فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة، ولا تأخذكم بهما رقة ورحمة بحيث لا تقيمون عليهما الحد أو تخففونه عنهما، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وليحضر إقامة الحد عليهما جمع من المؤمنين إمعاناً في التشهير بهما، وردعاً لهما ولغيرهما.

﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾

لتفطيع الزنى ذكر الله أن الذي اعتاده لا يرغب في الزواج إلا من زانية مثله أو مشركة لا تتوقى الزنى مع عدم جواز نكاحها، والتي اعتادت الزنى لا ترغب في الزواج إلا من زان مثلها أو مشرك لا يتوقاه مع حرمة زواجها منه، وحرم نكاح الزانية وإنكاح الزاني على المؤمنين.

﴿والذين يرمون بالفاحشة لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾

والذين يرمون بالفاحشة العفاف من النساء، (والأعفاء من الرجال مثلهن)، ثم لم يأتوا بأربعة شهود على ما رموهم به من الفاحشة فاجلدوهم - أيها الحكام - ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك الذين يرمون العفاف هم الخارجون عن طاعة الله.

﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾

إلا الذين تابوا إلى الله بعد الذي أقدموا عليه من ذلك، وأصلحوا أعمالهم فإن الله يقبل توبتهم وشهادتهم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

❖ من قوايد الآيات:

١- التمهيد للحديث عن الأمور العظام بما يؤذن بعظمتها. (من آية ١)

٢- الزاني يفقد الاحترام والرحمة في المجتمع المسلم. (من آية ٢)

٣- الحصار الاجتماعي على الزناة وسيلة لتحسين المجتمع منهم، ووسيلة لردعهم عن الزنى. (من آية ٢)

٤- تنوع عقوبة القاذف إلى عقوبة مادية (الحد)، ومعنوية (رد شهادته، والحكم عليه بالفسق) دليل على خطورة

هذا الفعل. (من آية ٤)

٥- لا يثبت الزنى إلا ببينة أو إقرار، وادعاؤه دون ذلك قذف. (من آية ٤)

﴿٦﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾

والرجال الذين يرمون زوجاتهم وليس لهم شهود غير أنفسهم يشهدون على صحة ما رموهن به؛ يشهد الواحد منهم أربع شهادات بالله: إنه لصادق فيما رمى به زوجته من الزنى.

﴿٧﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾

ثم في شهادته الخامسة يزيد الدعاء على نفسه باستحقاق اللعنة إن كان كاذبًا فيما رماها به.

﴿٨﴾ وَيَدْرُؤُهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾

فتستحق هي بذلك أن تُحد حد الزنى، ويدفع عنها هذا الحد أن تشهد هي أربع شهادات بالله: إنه لكاذب فيما رماها به.

﴿٩﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾

ثم في شهادتها الخامسة تزيد الدعاء على نفسها بغضب الله عليها إن كان صادقًا فيما رماها به.

﴿١٠﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

ولولا تفضل الله عليكم - أيها الناس - ورحمته بكم، وأنه تواب على من تاب من عباده، حكيم في تدبيره وشرعه لعاجلكم بالعقوبة على ذنوبكم، ولفضحكم بها.

﴿١١﴾ إِنْ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

إن الذين جاؤوا بالبُهتان (وهو رمي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة) جماعة تنتسب إليكم - أيها المؤمنون - لا تظنوا أن ما افتروه شر لكم، بل هو خير لما فيه من الثواب والتمحيص للمؤمنين، ولما يصحبه من تبرئة أم المؤمنين، لكل واحد شارك في رميها بالفاحشة جزاء ما اكتسبه من الإثم لتكلمه بالإفك، والذي **تحمل معظم** ذلك بيدته به له عذاب عظيم، والمقصود به رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول.

﴿١٢﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾

هلاً إذ سمع المؤمنون والمؤمنات هذا الإفك العظيم ظنوا سلامة من افتري عليه ذلك من إخوانهم المؤمنين، وقالوا: هذا كذب واضح.

﴿١٣﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾

هلاً أتى المفترون على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على فريتهم العظيمة بأربعة شهود يشهدون على صحة ما نسبوا إليها، فإن لم يأتوا بأربعة شهود على ذلك - ولن يأتوا بهم أبداً - فهم كاذبون في حكم الله.

﴿١٤﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

ولولا تفضل الله عليكم - أيها المؤمنون - ورحمته بكم حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، وتاب على من تاب منكم؛ لأصابكم عذاب عظيم بسبب ما **خضتم** فيه من الكذب والافتراء على أم المؤمنين.

﴿١٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ﴿١٥﴾

١- تركيز المنافقين على هدم مراكز الثقة في المجتمع المسلم بإشاعة الاتهامات الباطلة. (من آية ﴿١١﴾)

٢- المنافقون قد يستدرجون بعض المؤمنين لمشاركتهم في أعمالهم. (من آية ﴿١١﴾ و﴿١٢﴾)

﴿١٥﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

إذ يرويه بعضكم عن بعض، وتتناقلونه بأفواهكم مع بطلانه؛ فما لكم به علم، وتظنون أن ذلك سهل هين، وهو عند الله عظيم؛ لما فيه من الكذب ورمي بريء.

﴿١٦﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾

وهلّا إذ سمعتم هذا الإفك قلتهم: ما يصح لنا أن نتكلم بهذا الأمر الشنيع، تنزيهاً لك ربنا، هذا الذي رموا به أم المؤمنين كذب عظيم.

﴿١٧﴾ يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

يذكركم الله وينصحكم أن تعودوا لمثل هذا الإفك فترموا بريئاً بالفاحشة إن كنتم مؤمنين بالله.

﴿١٨﴾ وَيُؤَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

ويوضح الله لكم الآيات المشتملة على أحكامه ومواعظه، والله عليم بأفعالكم، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيكم عليها، حكيم في تدبيره وشرعه.

﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

إن الذين يحبون أن تنتشر المنكرات - ومنها القذف بالزنى - في المؤمنين، لهم عذاب موجه في الدنيا بإقامة حد القذف عليهم، ولهم في الآخرة عذاب النار، والله يعلم كذبهم، وما يؤول إليه أمر عباده، ويعلم مصالحتهم، وأنتم لا تعلمون ذلك.

﴿٢٠﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

ولولا تفضل الله عليكم - أيها الواقعون في الإفك - ورحمته بكم، ولولا أن الله رؤوف رحيم بكم، لعاجلكم بالعقوبة.

﴿٢١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بشرعه، لا تتبعوا طرق الشيطان في تزيينه للباطل، ومن يتبع طريقه فإنه يأمر بالقبیح من الأفعال والأقوال، وبما ينكره الشرع، ولولا فضل الله عليكم - أيها المؤمنون - ما طهر منكم من أحد أبداً بالتوبة إن تاب، ولكن الله يطهر من يشاء بقبول توبته، والله سميع لأقوالكم، عليم بأعمالكم، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿٢٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ١ - ضرورة التثبت تجاه الشائعات. (من آية ١٥)
- ٢ - تكريم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بتبرئتها من فوق سبع سماوات. (من آية ١٦)
- ٣ - إغراءات الشيطان ووساوسه داعية إلى ارتكاب المعاصي، فليحذر المؤمن. (من آية ٢١)
- ٤ - التوفيق للتوبة والعمل الصالح من الله لا من العبد. (من آية ٢٢)

﴿ ٢٢ ﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿

ولا يحلف أهل الفضل في الدين وأصحاب السعة في المال على ترك إعطاء أقربائهم المحتاجين - لما هم عليه من الفقر، من المهاجرين في سبيل الله - لذنب ارتكبه، وليعفو عنهم، وليصفحوا عنهم، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ذنوبكم إذا عفوتم عنهم وصفحتهم؟! والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، فليتأس به عباده. نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما حلف على ترك الإنفاق على مسطح لمشاركته في الإفك.

﴿ ٢٣ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْسِنَاتِ الْغَافِلَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿

إن الذين يرمون العفائف الغافلات عن الفاحشة التي لا يفتن لها المؤمنات، طردوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب عظيم في الآخرة.

﴿ ٢٤ ﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿

يحصل لهم ذلك العذاب يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم بما نطقوا به من الباطل، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

﴿ ٢٥ ﴾ يَوْمَ يُؤْفِقُ اللَّهُ الَّذِينَ يَدِينُهُمْ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿

في ذلك اليوم يوفيقهم الله جزاءهم بعدل، ويعلمون أن الله سبحانه هو الحق، فكل ما يصدر عنه من خبر أو وعد أو وعيد حق واضح لا مرية فيه.

﴿ ٢٦ ﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿

كل خبيث من الرجال والنساء والأقوال والأفعال مناسب وموافق لما هو خبيث، وكل طيب من ذلك مناسب وموافق لما هو طيب، أولئك الطيبون والطيبات مبرءون مما يقوله عنهم الخبيثون والخبيثات، لهم مغفرة من الله يغفر بها ذنوبهم، ولهم رزق كريم وهو الجنة.

ولما كان الاطلاع على العورات سبباً لإثارة الشهوة المؤدية إلى ارتكاب الزنى المذكور في بداية السورة، أمر الله بالاستئذان على البيوت؛ حماية للنظر من الاطلاع على العورات، فقال:

﴿ ٢٧ ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿

يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بشرعه، لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا ساكنيها في الدخول عليهم، وتسلموا عليهم بأن تقولوا في السلام والاستئذان: السلام عليكم أدخل؟ ذلك الاستئذان الذي أمرتم به خير لكم من الدخول فجأة، لعلكم تتذكرون ما أمرتم به فتمثلوه.

﴿ من قوايد الآيات ﴾

١- العفو والصفح عن المسيء سبب لغفران الذنوب. (من آية ٢٢)

٢- قذف العفائف من كبائر الذنوب. (من آية ٢٣)

٣- مشروعية الاستئذان لحماية النظر، والحفاظ على حرمة البيوت. (من آية ٢٧)

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَارجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

فإن لم تجدوا في تلك البيوت أحدًا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم في دخولها ممن يملك الإذن، وإن قال لكم أربابها: (ارجعوا) فارجعوا ولا تدخلوها، فإنه **أظهر لكم** عند الله، والله بما تعملون عليم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾

ليس عليكم **حرج** أن تدخلوا دون استئذان بيوتًا عامة لا تختص بأحد، أعدت للانتفاع العام؛ كالمكتبات والحوانيت في الأسواق، والله يعلم ما **تظهرون** من أعمالكم وأحوالكم وما **تخفون**، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم عليه.

ولما كان النظر بريدًا إلى الزنى، أمر الله بغض البصر للوقاية منه، فقال:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

قل - أيها الرسول - للمؤمنين **يكفوا** من أبصارهم عن النظر إلى ما لا يحل لهم من النساء والعورات، ويحفظوا فروجهم من الوقوع في المحرم، ومن كشفها، ذلك الكف عن النظر إلى ما حرمه الله وحفظ الفروج **أظهر لهم** عند الله، إن الله خير بما يصنعون، لا يخفى عليه شيء منه، وسيجازيهم عليه.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

وقل للمؤمنات **يكفنن** من أبصارهن عن النظر إلى ما لا يحلّ لهن النظر إليه من العورات، ويحفظن فروجهن بالبعد عن الفاحشة وبالستر، ولا **يُظهن** زينتهن للأجانب إلا ما ظهر منها مما لا يمكن إخفاؤه كالثياب، وليضربن بأغطينتهن على فتحات أعلى ثيابهن ليسترن شعورهن ووجوههن وأعناقهن، ولا **يُظهن** زينتهن الخفية إلا لأزواجهن، أو آبائهن، أو آباء أزواجهن، أو بنائهن، أو أبناء أزواجهن، أو إخوانهن، أو أبناء إخوانهن، أو أبناء أخواتهن، أو نساءهن المأمونات، مسلمات كنّ أو كافرات، أو ما ملكن من العبيد ذكورًا أو إناثًا، أو التابعين الذين لا غرض لهم في النساء، أو الأطفال الذين لم **يطلعوا** على عورات النساء لصغرهم، ولا يضرب النساء بأرجلهن قصد أن **يُعلم** ما يسترن من زينتهن مثل الخلل وما شابهه، وتوبوا إلى الله جميعًا - أيها المؤمنون - مما يحصل لكم من النظر وغيره؛ رجاء أن تفوزوا بالمطلوب، وتنجوا من المرهوب.

﴿مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ﴾

١- جواز دخول المباني العامة دون استئذان. (من آية ٢٩)

٢- وجوب غض البصر على الرجال والنساء عما لا يحلّ لهم. (من آية ٣٠)

٣- وجوب الحجاب على المرأة. (من آية ٣١)

٤- منع استخدام وسائل الإثارة. (من آية ٣٢)



ولما كانت العنوسة سبباً من أسباب انتشار الزنى، أمر الله بإعانة الأيامي على النكاح، فقال:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾

وزوّجوا - أيها المؤمنون - الرجال الذين لا زوجات لهم، والحرائر اللاتي لا أزواج لهنّ، وزوّجوا المؤمنين من عبيدكم ومن إمائكم، إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله الواسع، والله واسع الرزق، لا ينقص رزقه إغناء أحد، عليم بأحوال عباده.

ولما أمر الله المؤمنين بتزويج الأيامي، أمر الأيّم أن يستعفّ إذا لم يجد ما يتزوج به، فقال:

﴿وَلَيْسَتَعَفِيفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِنْبَ بِمِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۚ وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِغْيَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّبَتُّغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

وليطلب العفة عن الزنى الذين لا يستطيعون الزواج لفقيرهم إلى أن يغنيهم الله من فضله الواسع، والذين يطلبون مكاتبة أسيادهم من العبيد على دفع مال ليتحرروا، فعلى أسيادهم أن يقبلوا منهم ذلك إن علموا فيهم القدرة على الأداء والصلاح في الدين، وعليهم أن يعطوهم من مال الله الذي أعطاهم بأن يحطّوا عنهم جزءاً مما كاتبوهم على دفعه، ولا تجبروا إماءكم على الزنى بحثاً عن المال - كما فعل عبد الله بن أبيّ بأمتيّه حين طلبتا التعفف والبعد عن الفاحشة - لتطلبوا ما تكسبه بفرجها، ومن يجبرهنّ منكم على ذلك فإن الله من بعد الإيجاب لهنّ غفور لذنبهنّ، رحيم بهنّ؛ لأنهنّ مُكرهات، والإثم على مُكرِههنّ.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾

ولقد أنزلنا إليكم - أيها الناس - آيات واضحة مفصّلات الحق من الباطل، وأنزلنا إليكم مثلاً من الذين مضوا من قبلكم من المؤمنين والكافرين، وأنزلنا عليكم موعظة يتعظ بها الذين يتقون ربهم بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

الله نور السماوات والأرض، وهادي من فيهما، مثل نوره سبحانه في قلب المؤمن ككوة في حائط غير نافذة، فيها مصباح، المصباح في زجاجة متوهجة كأنها كوكب مضيء كالدر، يوقد المصباح من زيت شجرة مباركة، هي شجرة الزيتون، الشجرة لا يسترها عن الشمس شيء، لا في الصباح ولا في المساء، يكاد زيتها لصفائه يضيء، ولو لم تمسه نار، فكيف إذا مسته؟! نور المصباح على نور الزجاجة، وهكذا قلب المؤمن إذا أشرق فيه نور الهداية، والله يوفق لاتباع القرآن من يشاء من عباده، ويبين الله الأشياء بأشباهاها بضربه للأمثال، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

﴿مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ﴾

١- الله ﷻ ضيق أسباب الرق (بالحرب) ووسع أسباب العتق وحض عليه. (من آية ٢٢)

٢- التخلص من الرّق عن طريق المكاتبة وإعانة الرقيق بالمال ليعتق حتى لا يشكل الرقيق طبقة مُستردّلة تمتهن

الفاحشة. (من آية ٣١)

٣- من أسماء الله الحسنى (النور) وهو يتضمن صفة النور له سبحانه. (من آية ٢٥)

٤- قلب المؤمن نير بنور الفطرة، ونور الهداية الربانية. (من آية ٣٥)

﴿ ٣٦ ﴾ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** ﴿

يوقد هذا المصباح في مساجد أمر الله أن يعلو قدرها وبنائها، ويذكر فيها اسمه بالأذان والذكر والصلاة، يُصَلِّي فيها ابتغاء مرضاة الله أول النهار وآخره.

﴿ ٣٧ ﴾ **رِجَالٌ لَا لَّهُمْ فِيهَا بَيْعٌ وَلَا بِيَعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** ﴿

رجال لا يلهيهم شراء ولا بيع عن ذكر الله سبحانه، والإتيان بالصلاة على أكمل وجه، وإعطاء الزكاة لمصارفها، يخافون يوم القيامة، ذلك اليوم الذي تتقلب فيه القلوب بين الطمع في النجاة من العذاب والخوف منه، وتتقلب فيه الأبصار إلى أي ناحية تصير.

﴿ ٣٨ ﴾ **لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدهمُ مِّنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴿

عملوا ذلك ليشيهم الله على أعمالهم أحسن ما عملوا، ويزيدهم من فضله جزاء عليها، والله يرزق من يشاء بغير حساب على قدر أعمالهم، بل يعطيهم أضعاف ما عملوا.

﴿ ٣٩ ﴾ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالهمُ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ**

**وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴿

والذين كفروا بالله أعمالهم التي عملوها لا ثواب لها مثل السراب بمنخفض من الأرض يراه العطشان فيظنه ماءً، فيسير إليه حتى إذا جاءه ووقف عليه لم يجد ماءً، وكذا الكافر يظن أن أعماله تنفعه حتى إذا مات وبُعث لم يجد ثوابها، ووجد ربه أمامه فوقه حساب عمله كاملاً، والله سريع الحساب.

﴿ ٤٠ ﴾ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكِدْ بِرُءُوسُهُ ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴿

أو أعمالهم مثل ظلمات في بحر عميق، يعلوه موج، من فوق ذلك الموج موج آخر، من فوقه سحاب يستر ما يهتدي به من النجوم، ظلمات متراكم بعضها فوق بعض، إذا أخرج من وقع في هذه الظلمات يده لم يكذبها من شدة الظلمة، وهكذا الكافر، فقد تراكت عليه ظلمات الجهل والشك والحيرة والطبع على قلبه، ومن لم يرزقه الله هدى من الضلالة، وعلماً بكتابه، فما له هدى يهتدي به، ولا كتاب يستنير به.

﴿ ٤١ ﴾ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدَعٍ لِمَ صَلَاتُهُ، وَتَسْبِغُهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ** ﴿

ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسبغ له من في السماوات، ويسبغ له من في الأرض من مخلوقاته، وتسبغ له الطيور قد صفت أجنتها في الهواء، كل من تلك المخلوقات علم الله صلاة من يصلّي منها كالإنسان، وتسبغ من يسبغ منها كالطير، والله عليم بما يفعلون، لا يخفى عليه من أفعالهم شيء.

﴿ من قَوَايِدِ الآيَاتِ ﴾

١- المساجد بيوت الله في الأرض أنشأها ليعبد فيها، فيجب إبعادها عن الأقدار الحسية والمعنوية. (من آية ﴿ ٣٦ ﴾)

٢- موازنة المؤمن بين المشاغل الدنيوية والأعمال الأخرية أمر لازم. (من آية ﴿ ٣٧ ﴾)

٣- بطلان عمل الكافر لفقد شرط الإيمان. (من آية ﴿ ٣٩ ﴾)

٤- أن الكافر نشاز من مخلوقات الله المسبحة المطيعة. (من آية ﴿ ٤١ ﴾)

﴿٤٢﴾ **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**

ولله وحده ملك السماوات وملك الأرض، وإليه وحده الرجوع يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٤٣﴾ **الَّذِينَ تَرَأَى اللَّهَ يُرْسِلُ سُحَابًا تُمْ يُولِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ**

ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسوق سحابًا، ثم يضم أجزاء بعضه إلى بعض، ثم يجعله متراكمًا يركب بعضه بعضًا، فترى المطر يخرج من داخل السحاب، وينزل من جهة السماء من السحاب المتكاثفة فيها التي تشبه الجبال في عظمتها قطعًا متجمدة من الماء كالحصى، فيصيب بذلك البرد من يشاء من عباده، ويصرفه عن من يشاء منهم، يكاد ضوء برق السحاب من شدة لمعانه يذهب بالأبصار.

﴿٤٤﴾ **يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ**

يعاقب الله بين الليل والنهار طولًا وقصرًا، ومحيثًا وذهابًا، إن في ذلك المذكور من الآيات من دلائل الربوبية عظة لأصحاب البصائر على قدرة الله ووحدانيته.

﴿٤٥﴾ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**

والله خلق كل ما يذب على وجه الأرض من الحيوان من نطفة، فمنهم من يمشي على بطنه زحفًا كالحيات، ومنهم من يمشي على رجلين كالإنسان والطير، ومنهم من يمشي على أربع كالأنعام، يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿٤٦﴾ **لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**

لقد أنزلنا على محمد ﷺ آيات واضحة دالات على طريق الحق، والله يوفق من يشاء إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه، فيوصله ذلك الطريق إلى الجنة.

﴿٤٧﴾ **وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**

ويقول المنافقون: آمنا بالله، وآمنا بالرسول، وأطعنا الله، وأطعنا رسوله، ثم تتولى طائفة منهم، فلا يطيعون الله ورسوله في الأمر بالجهد في سبيل الله وغيره بعد ما زعموه من الإيمان بالله ورسوله وطاعتها، وما أولئك المتولون عن طاعة الله ورسوله بالمؤمنين وإن ادعوا أنهم مؤمنون.

﴿٤٨﴾ **وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ**

وإذا دعي هؤلاء المنافقون إلى الله، وإلى الرسول ليحكم الرسول بينهم فيما يختصمون فيه، إذا هم معرضون عن حكمه لنفاقهم.

﴿٤٩﴾ **وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ**

وإن علموا أن الحق لهم، وأنه سيحكم لصالحهم يأتوا إليه منقادين خاضعين.

﴿٥٠﴾ **مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:**

١- جميع مراحل المطر من خلق الله وتقديره. (من آية ٤٢)

٢- تنوع المخلوقات دليل على قدرة الله. (من آية ٤٥)

٣- من صفات المنافقين الإعراض عن حكم الله إلا إن كان الحكم في صالحهم، ومن صفاتهم مرض القلب

والشك، وسوء الظن بالله. (من آية ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠)

﴿٥٠﴾ **أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**

أفي قلوب هؤلاء مرض لازم لها، أم شكوا في أنه رسول الله، أم يخافون أن يحور الله عليهم ورسوله في الحكم؟ ليس ذلك لشيء مما ذكر، بل لعدة في أنفسهم بسبب إعراضهم عن حكمه وعنادهم له.

ولما ذكر موقف المنافقين الراض لحكم الله ورسوله ذكر موقف المؤمنين الراضي به، فقال:

﴿٥١﴾ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**

إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله، وإلى الرسول ليحكم بينهم أن يقولوا: سمعنا قوله، وأطعنا أمره، وأولئك المتصفون بتلك الصفات هم الفائزون في الدنيا والآخرة.

﴿٥٢﴾ **وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**

ومن يطع الله ويطع رسوله، ويستسلم لحكمهما، ويخف ما تجرّه المعاصي، ويتق عذاب الله بامثال أمره، واجتناب نهيه، فأولئك وحدهم هم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة.

﴿٥٣﴾ **وَاقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِنِ امْرَأَتِهِمْ لِيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا نَفْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**

وحلف المنافقون بالله أقصى أيمانهم المغلظة التي يستطيعون الحلف بها: لئن أمرتهم بالخروج إلى الجهاد ليخرجن، قل لهم - أيها الرسول - لا تحلفوا، فكذبكم معروف، وطاعتكم المزعومة معروفة، والله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم مهما أخفيتموها.

﴿٥٤﴾ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا**

**الْبَلَّغُ الْمُبِينُ**

قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنافقين: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، في الظاهر والباطن، فإن تتولوا عما أمرتم به من طاعتها فإنما عليه هو ما كُلف به من التبليغ، وعليكم أنتم ما كُلفتم به من الطاعة، والعمل بما جاء به، وإن تطيعوه بفعل ما أمركم بفعله وبالكف عما نهاكم عنه تهتدوا إلى الحق، وليس على الرسول إلا البلاغ الواضح، فليس عليه حملكم على الهداية، وإجباركم عليها.

﴿٥٥﴾ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**

وعد الله الذين آمنوا منكم بالله وعملوا الأعمال الصالحات، أن ينصرهم على أعدائهم، ويجعلهم خلفاء في الأرض مثل ما جعل من قبلهم من المؤمنين خلفاء فيها، ووعدهم أن يجعل دينهم الذي ارتضاه لهم - وهو دين الإسلام - مكيناً عزيزاً، ووعدهم أن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني وحدي، لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد تلك النعم فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

﴿٥٦﴾ **مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:**

١- طاعة الله ورسوله والخوف من الله من أسباب الفوز في الدارين. (من آية ٥٢)

٢- الحلف على الكذب سلوك معروف عند المنافقين. (من آية ٥٣)

٣- اتباع الرسول ﷺ علامة الاهتداء. (من آية ٥٤)

٤- على الداعية بذل الجهد في الدعوة، والتناجح بيد الله. (من آية ٥٤)

٥- الإيمان والعمل الصالح سبب التمكين في الأرض والأمن. (من آية ٥٥)

﴿٥٦﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾

وأدوا الصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، وأطيعوا الرسول بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه؛ رجاء أن تنالوا رحمة الله.

﴿٥٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَهُمْ إِلَّا نَارٌ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

لا تظنن - أيها الرسول - الذين كفروا بالله يفوتونني إذا أردت أن أنزل بهم العذاب، وماوهم يوم القيامة جهنم، ولئساء مصير من جهنم مصيرهم.

ولما ذكر الله من قبل أحكام استئذان الأحرار البالغين، ذكر هنا أحكام استئذان العبيد والأحرار غير البالغين، والأطفال إذا بلغوا، فقال:

﴿٥٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَعِذْنَ مِنَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرعه لهم، ليطلب منكم الإذن عبيدكم وإماؤكم والأطفال الأحرار الذين لم يبلغوا سن الاحتلام في ثلاثة أوقات: من قبل صلاة الصبح وقت إبدال ثياب النوم بثياب اليقظة، وفي وقت الظهيرة حين تخلعون ثيابكم للقليلة، وبعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت نومكم وخلع ثياب اليقظة ولبس ثياب النوم، هذه ثلاثة أوقات عورات لكم، لا يدخلون فيها عليكم إلا بعد إذن منكم، ليس عليكم حرج في دخولهم دون استئذان، ولا عليهم هم حرج فيما عداها من الأوقات، هم كثيرو التطواف عليكم، بعضكم يطوف على بعض، فيتعذر منهم من الدخول في كل وقت إلا باستئذان، كما بين الله لكم أحكام الاستئذان يبين لكم الآيات الدالة على ما شرعه لكم من أحكام، والله عليم بمصالح عباده، حكيم فيما يشرعه لهم من أحكام.

﴿٥٩﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا أَسْتَعِذْنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾

وإذا بلغ الأطفال منكم سن الاحتلام فليطلبوا الإذن عند الدخول على البيوت في كل الأوقات مثل ما ذكر بشأن الكبار سابقاً، كما بين الله لكم أحكام الاستئذان يبين الله لكم آياته، والله عليم بمصالح عباده، حكيم فيما يشرعه لهم.

﴿٦٠﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

والعجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل لكبرهن، اللاتي لا يطمعن في النكاح فليس عليهن إثم أن يضعن بعض ثيابهن كالرداء والقناع، غير مظهرات للزينة الخفية التي أمرن بسترها، وأن يتركن وضع تلك الثياب خير لهن من وضعها إمعاناً في الستر والتعفف، والله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم عليها.

﴿٦١﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ﴿٦١﴾

١- تأديب العبيد والأطفال على الاستئذان في أوقات ظهور عورات الناس. (من آية ﴿٥٨﴾)

٢- جواز وضع العجائز بعض ثيابهن لانتفاء الريبة من ذلك. (من آية ﴿٦٠﴾)

٣- الاحتياط في الدين شأن المتقين. (من آية ﴿٦٠﴾)

﴿١١﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكََةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

ليس على الأعمى الذي فقد بصره **إثم**، ولا على الأعرج **إثم**، ولا على المريض **إثم**؛ إن تركوا ما لا يستطيعون القيام به من التكاليف كالجهاد في سبيل الله، وليس عليكم - أيها المؤمنون - **إثم** في الأكل من بيوتكم، ومنها بيوت أبنائكم، ولا في الأكل من بيوت آبائكم أو أمهاتكم أو إخوانكم أو أخواتكم أو أعمامكم أو عماتكم، أو أحوالكم أو خالاتكم، أو ما **وُكِّلْتُمْ على حفظه من البيوت مثل** حارس البستان، ولا حرج في الأكل من بيوت صديقتكم لطيب نفسه عادة بذلك، ليس عليكم **إثم** أن تأكلوا مجتمعين أو **فُرَادَى**، فإذا دخلتم بيوتًا مثل البيوت المذكورة وغيرها فسلموا على من فيها بأن تقولوا: السلام عليكم، فإن لم يكن فيها أحد فسلموا على أنفسكم بأن تقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، تحية من عند الله شرعها لكم مباركة؛ لِمَا تنشره من المودة والألفة بينكم، طيبة تطيب بها نفس سامعها، بمثل هذا التبيين المتقدم في السورة يبين الله الآيات رجاء أن تعقلوها، وتعملوا بما فيها. ولما ذكر الله الاستئذان عند الدخول ذكر الاستئذان عند الانصراف، فقال:

﴿١٢﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾

إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم هم الذين آمنوا بالله وآمنوا برسوله، وإذا كانوا مع النبي ﷺ في أمر يجمعهم لمصلحة المسلمين، لم ينصرفوا حتى يطلبوا منه الإذن في الانصراف، إن الذين يطلبون منك - أيها الرسول - الإذن عند الانصراف أولئك الذين يؤمنون بالله، ويؤمنون برسوله حقًا، فإذا طلبوا منك الإذن لبعض **أمر يهمهم** فأذن لمن شئت أن تأذن له منهم، واطلب لهم المغفرة لذنوبهم، إن الله غفور لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٣﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْطُونَ مِنْكُمْ لِيُحَذِّرِ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣﴾

شَرُّوا - أيها المؤمنون - رسول الله، فإذا ناديتموه فلا **تنادوه** باسمه مثل: يا محمد، أو باسم أبيه مثل: يا ابن عبد الله، كما يفعل بعضكم مع بعض، ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، وإذا دعاكم لأمر عام فلا تجعلوا دعوته كدعوة بعضكم بعضًا في الأمور التافهة عادة، بل سارعوا إلى الاستجابة لها، فإن الله يعلم الذين **ينصرفون منكم خفية دون إذن**، فليحذر الذين يخالفون أمر رسول الله ﷺ أن يصيبهم الله **بمحنة وبلاء**، أو يصيبهم بعذاب موجه لا صبر لهم عليه.

﴿١٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ١- الأعدار سبب في تخفيف التكليف . (من آية ١١)
- ٢- المجتمع المسلم مجتمع التكافل والتآزر والتآخي . (من آية ١١)
- ٣- دين الإسلام دين النظام والآداب، وفي الالتزام بالآداب بركة وخير . (من آية ١٢)
- ٤- منزلة رسول الله ﷺ تقتضي توقيره واحترامه أكثر من غيره . (من آية ١٣)
- ٥- شؤم مخالفة سنة النبي ﷺ . (من آية ١٣)

﴿٦٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

ألا إن لله وحده ما في السماوات وما في الأرض خلقًا وملكًا وتدبيرًا، يعلم ما أنتم - أيها الناس - عليه من الأحوال، لا يخفى عليه منها شيء، ويوم القيامة - حين يرجعون إليه بالبعث بعد الموت - يخبرهم بما عملوا من أعمال في الدنيا، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض.

## سورة الفرقان

### مكية

﴿١﴾ من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الانتصار للرسول ﷺ وللقرآن ودفع شبهة المشركين.

﴿٢﴾ التَّضْيِيرُ:

﴿١﴾ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾

تعاظم وكثر خير الذي نزل القرآن فارقًا بين الحق والباطل على عبده ورسوله محمد ﷺ؛ ليكون رسولًا إلى الثقيلين الإنس والجن، مخوفًا لهم من عذاب الله.

﴿٢﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾

الذي له وحده ملك السماوات وملك الأرض، ولم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريك في ملكه، وخلق جميع الأشياء، فقدّر خلقها وفق ما يقتضيه علمه وحكمته تقديرًا، كل بما يناسبه.

﴿٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾

واتخذ المشركون من دون الله معبودات لا يخلقون شيئًا صغيرًا أو كبيرًا وهم يُخلقون، فقد خلقهم الله من عدم، ولا يستطيعون دفع ضرر عن أنفسهم، ولا جلب نفع لها، ولا يستطيعون إماتة حيي، ولا إحياء ميت، ولا يستطيعون بعث الموتى من قبورهم.

ولما ذكّرهم شركهم بالله ذكر موقفهم من كتابه ومن رسوله، فقال:

﴿٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾

وقال الذين كفروا بالله وبرسوله: ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه محمد فنسبه بهتانًا إلى الله، وأعانه على اختلاقه أناس آخرون، فقد افتري هؤلاء الكافرون قولًا باطلاً، فالقرآن كلام الله، لا يمكن أن يأتي البشر ولا الجن بمثله.

﴿٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

١- إحاطة ملك الله وعلمه بكل شيء. (من آية ﴿٦٤﴾)

٢- اتصاف الإله الحق بالخلق والنفع والإماتة والإحياء، وعجز الأصنام عن كل ذلك. (من آية ﴿٢﴾)

﴿٥﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾

وقال هؤلاء المكذبون بالقرآن: القرآن أحاديث الأولين وما يسطرونه من الأباطيل، استنسخها محمد، فهي تُقرأ عليه أول النهار وآخره.

﴿٦﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾

قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذابين: أنزل القرآن الله الذي يعلم كل شيء في السماوات والأرض، وليس مُخْتَلَفًا كما زعمتم، ثم قال مرغبا لهم بالتوبة: إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿٧﴾ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُوبُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾

وقال المشركون المكذبون بالنبي ﷺ: ما لهذا الذي يزعم أنه رسول من عند الله يأكل الطعام كما يأكل غيره من الناس، ويسير في الأسواق بحثا عن المعاش، هلا أنزل الله معه ملكا يكون رفيقه يصدقه ويساعده.

﴿٨﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكْوَنُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾

أو ينزل عليه كنز من السماء، أو تكون له حديقة يأكل من ثمرها، فيستغني عن المشي في الأسواق وطلب الرزق، وقال الظالمون: ما تتبعون - أيها المؤمنون - رسولا، وإنما تتبعون رجلا مغلوبا على عقله بسبب السحر.

﴿٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَل فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾

انظر - أيها الرسول - لتتعجب منهم كيف وصفوك بأوصاف باطلة، فقالوا: ساحر، وقالوا: مسحور، وقالوا: محنون، فضلوا بسبب ذلك عن الحق، فلا يستطيعون سلوك طريق الهداية، ولا يستطيعون سبيلا إلى القدر في صدق وأمانتك.

﴿١٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾

تبارك الله الذي إن شاء جعل لك خيرا مما اقترحوه لك، بأن يجعل لك في الدنيا حدائق تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها تأكل من ثمارها، ويجعل لك قصورا تسكن فيها مُنَعَمًا.

﴿١١﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

ولم يصدر منهم ما صدر من الأقوال طلبا للحق وبحثا عن البرهان، بل الحاصل أنهم كذبوا بيوم القيامة، وأعدنا لمن كذب بيوم القيامة نارا عظيمة شديدة الاشتعال.

﴿١٢﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾

إذا عاينت النار الكفار وهم يساقون إليها من مكان بعيد سمعوا لها غليانا شديدا، وصوتا مزعجا من شدة غضبها عليهم.

﴿١٣﴾ وَإِذَا أَلْفُتُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبُّوا مَقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾

وإذا رُمي هؤلاء الكفار في جهنم في مكان ضيق منها مقرونة أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل دعوا على أنفسهم بالهلاك؛ رجاء الخلاص منها.

﴿١٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ﴿١٤﴾

١- إثبات صفتي المغفرة والرحمة لله. (من آية ٦)

٢- الرسالة لا تستلزم انتفاء البشرية عن الرسول. (من آية ٧)

٣- تواضع النبي ﷺ حيث يعيش كما يعيش الناس. (من آية ٧)

٤- الجمع بين الترهيب من عذاب الله والترغيب في ثوابه. (من آية ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦)



﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ (١٤)

لا تدعوا - أيها الكفار - اليوم هلاكًا واحدًا، وادعوا هلاكًا كثيرًا، لكن لن تجابوا إلى ما تطلبون، بل ستبقون في العذاب الأليم خالدين.

﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ (١٥)

قل لهم - أيها الرسول -: أذلك المذكور من العذاب الذي وُصِفَ لكم خير أم جنة الخلد التي يدوم نعيمها، ولا ينقطع أبدًا؟ وهي التي وعد الله المتقين من عباده المؤمنين أن تكون لهم ثوابًا، ومرجعًا يرجعون إليه يوم القيامة.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُورًا﴾ (١٦)

لهم في هذه الجنة ما يشاؤون من النعيم، كان ذلك على الله وعدًا، يسأله إياه عباده المتقون، ووعد الله متحقق، فهو لا يخلف الميعاد.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (١٧)

ويوم يحشر الله المشركين المكذابين، ويحشر ما يعبدونه من دون الله، فيقول للمعبودين تقيعًا لعابديهم: أنتم أضللتهم عبادي بأمركم لهم أن يعبدوكم، أم هم ضلوا من تلقاء أنفسهم؟!

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ (١٨)

قال المعبدون: تنزهت ربنا أن يكون لك شريك، ما يليق بنا أن نتخذ من دونك أولياء نتولاهم، فكيف ندعو عبادك أن يعبدونا من دونك؟! ولكن تمتعت هؤلاء المشركين بملذات الدنيا، وامتعت آباءهم من قبلهم استدراجًا لهم حتى نسوا ذكرك، فعبدوا معك غيرك، وكانوا قومًا هلكي بسبب شقائهم.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمُ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ (١٩)

فقد كذبكم - أيها المشركون - من عبدتموهم من دون الله فيما تدعونهم عليهم، فما تستطيعون دفع العذاب عن أنفسكم ولا نصرها لعجزكم، ومن يظلم منكم - أيها المؤمنون - بالشرك بالله نذقه عذابًا عظيمًا مثل ما أذقناه من ذُكر.

ولما استنكر المشركون أن الرسول ﷺ يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ردّ الله عليهم بقوله:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (٢٠)

وما بعثنا قبلك - أيها الرسول - من المرسلين إلا بشرًا كانوا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، فلست بدعًا من الرسل في ذلك، وجعلنا بعضكم لبعض اختبارًا في الغنى والفقر والصحة والمرض بسبب هذا الاختلاف، أتصبرون على ما ابتليتكم به فيثيبكم الله على صبركم؟! وكان ربك بصيرًا بمن يصبر ومن لا يصبر، وبمن يطيعه ومن يعصيه.

﴿مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ﴾

١- متع الدنيا مُنْسيّة لذكر الله. (من آية ١٨)

٢- بشرية الرسل نعمة من الله للناس لسهولة التعامل معهم. (من آية ٢٠)

٣- تفاوت الناس في النعم والنقم اختبار إلهي لعباده. (من آية ٢٠)